سماح
إدريس

رسالة إلى المفاوض العربيّ

بيروت في ٤/١/٢٠٠٠

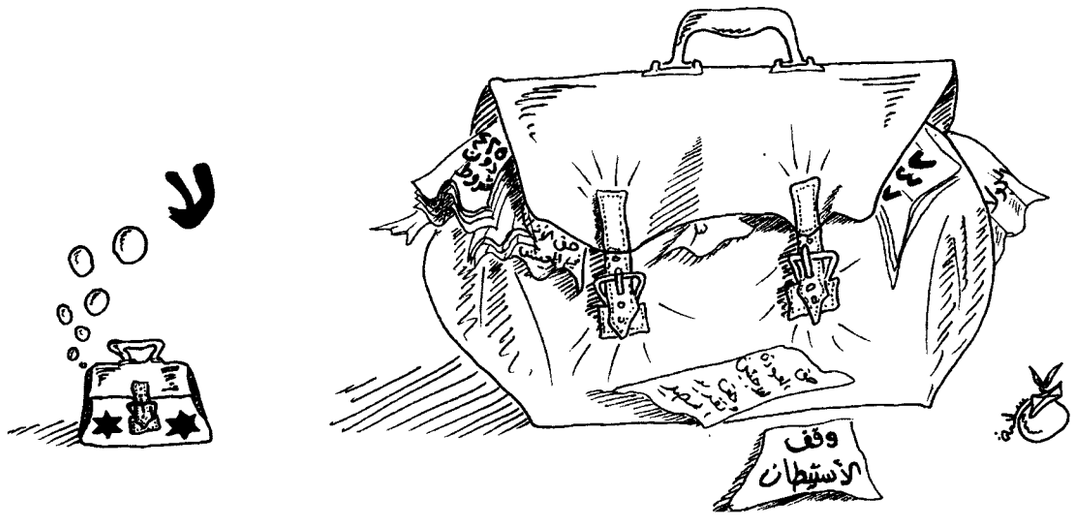

عزيزي المفاوِض العربيّ،

السلامُ عليك،

أكتب إليكَ هذه الكلمات، وأنا واثقٌ بأنّك لن تقرأها لأنّك منهمِكٌ ـ أو هكذا قرأْنا ـ في تحضير الملفّات التي ستطرحها أمام الجانب الإسرائيليّ. ومع ذلك، أَكْتُبُ ما أكتب، ولوْ مِنْ باب «رَفْعِ العتب».

أنت الآن تمثِّل ـ أو يُفْترض أن تمثِّل ـ شعبَك، لا نظامَكَ وحده؛ وتمثِّل ـ أو يُفْترض أيضاً ـ قضيّةً نتمنّى أن تحرص عليها حرصَكَ على نظامِك. ولهذا أرجوك:

١ ـ حاذِرْ أن تكون «واقعياً» بالمَعْنَى المبتذَلِ والجاهِلِ للكلمة، وذلك لعدّة أسباب: **أوّلها** لأنّ الأنظمة المفاوِضَة (وغير المفاوِضة أيضاً) مسؤولةٌ بالدرجة الأولى عن هذا الواقع المتردّي الذي وَصَلَ العربُ إليه. فوجودُك الآن ضعيفاً (واسمحْ لي أن أصفَكَ بهذه الصفة) أمام كيانٍ مدجَّجٍ بالسلاح والدعم الأميركيّ اللامحدود لم يأتِ بين ليلة وضحاها، بل هو نَتيجةٌ لسياساتٍ مديدة من كبتِ الناسِ وشرذمةِ العربِ والتعامي عن الأولويات القوميّة؛ وقد كنتَ مسؤولاً بشكلٍ مباشر أو غيرِ مباشرٍ عن هذا الوضع. وأدعوكَ إلى الحذر من أن تكون «واقعيّاً» بالمعنى المبتذَلِ، **ثانياً**، لأنّ هذا المعنى يتجاهل الكامِنَ في المجتمع العربيّ: وأعني طاقاتِ الإنسان العربيّ، ورغباتِهِ، وأحلامَهُ التي لا بدّ أن يحقّق جزءاً منها... مهما طال الزمن.

٢ ـ لا تُراهِنْ على أميركا. فهي ليست معكَ، مهما فعلتَ، لأنّها ـ أولاً وآخراً ـ مع مصالحها في الشرق الأوسط. وهذه المصالح تَضْمنها لها «إسرائيلُ» بالدرجة الأولى. ولا تعتقدْ أنّ مردّ هذه السياسة الأميركيّة يعود إلى وجود لوبي صهيونيّ ضاغطٍ في الولايات المتحدة؛ فهذا اللوبي ـ على قوته ـ ليس فاعلاً إلاّ لأنّ الإدارة الأميركيّة تريده كذلك، أيْ لأنّه يتّفق في أهدافه مع إبقاء المنطقة العربية ضعيفةً كي يَسْهل على تلك الإدارة الوصولُ إلى نفطنا وسوقنا وشلُّ قدرتنا على العصيان والثورة.

٣ ـ طالِبْ «إسرائيل» أن تحدِّد لكَ حدودَها. فمِنْ غير المعقول أن تبحث وإياها قضيةَ الحدود «المتنازَع» عليها، وأنتَ لا تعلم أين حدودُها هي: أهي حيث يَطَأُ اليهوديُّ، أم

هي من النيل إلى الفرات كما يدلّ عَلَمُها ذو الخَطَّيْنِ الأزرقيْنِ وشعارُها في الكنيست، أم ماذا؟ أَوَيجوز أن تبقى «إسرائيل» الدولةَ الوحيدةَ في العالم التي لا حدود دولية معلنة لها؟

٤ ـ ابحثْ مع «إسرائيل» قضيةَ الأسلحة النووية التي تَمْلكها. فهنا أيضاً لا يجوز أن تبقى هذه الدولةُ فوق القانون الدوليّ. ولا يجوز أن تواصل أميركا منعَ إخضاع الترسانة النووية الإسرائيلية لأيّ تفتيش دوليّ. أنتَ لا سلاح نووياً لديْك، فلماذا تُبقي الدولةُ الصهيونيةُ سلاحها النوويّ مسلّطاً عليك... حتى في عزّ تفاوضها معك على «سلامٍ» جديد؟

٥ ـ لا تتخلَّ عن نقطةِ ماءٍ واحدةٍ من مياهك الوطنيّة. لا يهمَّنَّكَ أن تكون «إسرائيل» قد «تعوّدتْ» أن تستخدم ٣٠٪ من مياه الجولان لسدّ احتياجاتها. ولا يهمّنَّكَ أن تكون قد «تعوّدتْ» سرقةَ مياه الحاصباني والوزاني والليطاني منذ عام ١٩٧٨، وهو عامُ إنشائها «للشريط الحدوديّ» في جنوبيّ لبنان. فهذه مياهٌ عربيّة (نعم، المياه نفسها «بتتكلّم عربي!») لا شرق أوسطية أو إقليميّة. ونحن في أمسّ الحاجة إلى كلّ قطرةِ ماءٍ في هذا الزمن المجدِب... بل في الزمن القادم الذي ستكون فيه المياهُ محكَّ الصراع الأساسيّ في المنطقة.

٦ ـ لا تُعطِ عدوَّك بالسِّلْم ما عَجزَ عن تحقيقه بالحرب. لا تستخفَّ بهذه المقولة المستهلكة. وتذكَّرْ: الدولة العبرية لن «تتنازل» ـ إذا قبلتْ بالسلام ـ عن أرضٍ لها، بل **ستتنازل عن أرضنا نحن**. فلا يجوز أن نكافئها على تنازلها المزعوم ذاك بإعطائها فرصةً للاندماج في الوطن العربيّ على حساب مشاريع تنميتنا العربيّة. إنّ نفطَنا، ومواردَنا، وأيدِيَنا العاملة، ملْكٌ لمشاريع تعاوننا العربيّ (المهدورِ على مذبح الأنانيّات النظاميّة)، وملْكٌ لإنشاء «باندونغ» عربيّة مستقلّة (رحم الله عبد الناصر!)، وليستْ مرصودةً لإخراج الكيان الغاصب من عزلته الإقليميّة، ولمساعدته على أن يصبح شريكاً في الاقتصاد الرأسمالي العالميّ، ولا لمساعدة الولايات المتحدة على أن تخفِّف عن كاهلها عبْءَ هذا الشريك الثقيل... ولوْ على حساب العرب!

٧ ـ لا تتخلَّ عن قضيّة فلسطين. لا تقبلْ بتوطين الفلسطينيين في أرضِكَ، بل كُنْ حازماً في الوقوف معهم من أجل تنفيذ القرار الدولي رقم ١٩٤ القاضي بحقهم في العودة و/أو التعويض. فلا مكان للفلسطينيّين إلا فلسطين، كلّ فلسطين. ولا يجوز أن يواصل «المجتمعُ الدوليُّ» الغربيُّ تكفيرَه عن الجرائم والمحارق التي ارتكبها ضدَّ اليهود، بالسكوت عن تشريد شعبٍ آخر وبدعمِ عمليات هذا التشريد.

٨ ـ حافظْ على الحدّ الأدنى من احترام النضالات العربيّة السابقة، وتميَّزْ عمَّنْ سبقوك إلى التوقيع فدانوا «الإرهابَ» و«الكفاحَ المسلَّح» و«العنفَ». فهذه كلها ـ الإرهاب والكفاح المسلّح والعنف ـ هي التي طردتْ جيشَ الدفاع الإسرائيليّ من بيروت ومعظم قرى الجنوب ومدنِهِ. وأما اتفاقيّات السلام العربيّة ـ الإسرائيليّة فلم تؤدِّ إلاّ إلى إعادة انتشاراتٍ مذلّةٍ، أو إلى انسحاباتٍ عسكريّة ترافقتْ مع بناء سفاراتٍ ترفرف عليها أعلامٌ إسرائيليّة، ومع إنشاءِ مراكز تجسّسٍ مموّهةٍ بشعاراتٍ أكاديميّة (كما هو حال «المركز الأكاديميّ الإسرائيليّ» في القاهرة).

٩ ـ لا تَشْكرْ أميركا... لحسن ضيافتها و«رعايتها» للمفاوضات. أَبْقِ التهذيبَ للآخرين.

١٠ ـ استَفْتِ شعبَكَ على كلّ ما ستتوصّلُ إليه (أيُّ هراءٍ أقول؟!). تعلَّمْ من عدوِّكَ، ولوْ شيئاً واحداً. اعْرضْ على شعبكَ كلَّ القصة، ولا تُخْفِ عنه شيئاً؛ فلربّما صوَّبَك، ولربّما تفهَّمَ موقفكَ وأيَّدَكَ وشدَّ من أزرِكَ.

١١ـ خُذْ في الاعتبار أنّ الكيان الصهيونيّ مليء بالمتناقضات، وأنّ موازين الصراع ـ بل اتفاقيّات السلام نفسَها ـ قد تتغيّر في أيّ لحظة إذا تغيَّر باراك أو زال حزبُ العمل من سدّة الحكم.

١٢ ـ لا تورِّطْ شعبَكَ، ولا أجيالَه القادمة، في حساباتٍ نظاميّة أو إقليميّةٍ أو أنانيةٍ ضيّقة. وحاذِرْ أن تَرْضى التوقيعَ على كلّ ما مِنْ شأنه أن يَفْرض قيوداً على حرية الصحافة والأحزاب والنقابات (حيثما وُجدتْ هذه الحريةُ، إنْ وُجِدَتْ أصلاً!) وحقِّها الدستوريّ في التعبير عن رأيها المعارِضِ لـ «السلام» بمختلف الوسائل المشروعة.

١٣ ـ أَعِدَّ نفسَكَ لمعارضةٍ أشدَّ في الداخل، شأْنَ مَنْ وقَّعَ قَبْلَكَ ـ من مصريين وفلسطينيين وأردنيين ـ على معاهدات سلام. فالمعارضةُ ستشتدّ، حتى لو كانت الشروطُ التي ستأتي بها يا عزيزي أفضلَ من شروطِ الموقّعين مِنْ قبلِكَ. وذلك لأنّ جوهر المشكلة ما زال باقياً... ولأنّ القصة «مِشْ قصّة شطارة»، كما تذهب أغنيةٌ مشهورةٌ لخالد الهبر.

بيروت